

## التوجيه الجامعي وطبيعة الاختيارات الدراسية للطالبة في بطاقة الرغبات

بقلم

أ / سلاف مشري

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا  
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية  
المركز الجامعي بالوادي



ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تقويم مدى فعالية إجراءات التوجيه الجامعي في الجزائر خاصة الإجراء المتعلق بزيادة أو تقليص عدد الاختيارات في بطاقة الرغبات. وذلك للمساهمة في تحسين إجراءات التوجيه ووسائله ومفاهيمه بشكل عام في بلادنا.

Résumé

*L'objectif de cette étude est d'essayer d'évaluer l'efficacité des procédures d'orientation universitaire en Algérie. Spécialement, la procédure est d'augmenté ou de réduire le nombre de choix sur la fiche de vœux, de manière à contribuer à l'amélioration des procédures et des outils, et des méthodes et concepts en général dans notre pays.*

مقدمة :

إن التطورات السريعة التي يعرفها هذا العصر فرضت على جميع الدول المتطلعة إلى التقدم والارتقاء تحديات كبرى لمواجهة المستقبل بما يحمله من تغيرات ومفاجآت تمس كل أوجه الحياة، بحيث فرضت أن تكون وتيرة التنمية والبناء للبلدان سريعة وذات قفزات نوعية لا تدع مجالاً للارتجال أو العمل العشوائي. ولا شك أن استغلال الدول لما تملك من موارد بشرية لهو من أهم الدعائم التي تستطيع من خلالها تحقيق أهدافها والحفاظ على استمرارها، فقد أصبحت الأمم لا تقاس بما تملك من موارد طبيعية بقدر ما تقاس بما تملك وما تستغل من موارد بشرية. فالفرد هو اللبنة الأساسية في تكوين أي مجتمع، وإن ما يبلغه هذا المجتمع من رقي أو تقهقر هو نتيجة لما بلغه أفراداه من مستوى علمي وفكري وأخلاقي.

ولقد كان نظام التربية والتعليم والتكوين -وسبيل- من أهم الأنظمة التي تركز فيها الجهود وتحظى بمسؤولية إعداد الأفراد لمستوى يؤهلهم ويسمح لهم بخدمة المجتمع الذي يعيشون فيه.

وتعتبر الجامعة من أهم المراحل التعليمية وأعلى درجات هرمها والمسؤولة - كبقية المؤسسات الأخرى - عن تكوين الإطار الكفاءة القادرة على الاضطلاع بتلك الخدمة، وعليها أن تثبت فعاليتها وكفايتها الإنتاجية لتدعيم مسيرة التنمية والبناء للبلاد، وذلك من خلال أدائها للمهام المنوطة بها، فإذا اعتبرنا أن الطلبة حملة شهادة البكالوريا من أهم مدخلات الجامعة فإن مخرجاتها هي الإطار الحاصلة على شهادات مختلف الفروع والتخصصات الجامعية.

في هذا الإطار يعتبر التوجيه الجامعي المنظم الأساسي لعملية تزويد المجتمع بتلك الإطار من خلال المساعدات التي يقدمها للأفراد وفق شروط أساسية مبنية على أسس علمية موضوعية.

#### التوجيه الجامعي في الجزائر:

عملت الجزائر على إحداث عدة إصلاحات على نظام التعليم العالي حتى يساير هذا القطاع متطلبات وأهداف السياسة التنموية في البلاد منذ الاستقلال إلى يومنا هذا؛ تزداد أهمية هذا الطرح حدة بالنظر إلى مخلفات العهد الاستعماري التي أوجبت على الجزائر مواجهة العديد من التحديات؛ فقد واجهت الجامعة الجزائرية صراعا على واجهتين<sup>1</sup>:

تتمثل أولاهما في فك الحصار الذي فرضه عليها الاستعمار باعتمادها على الإطار الوطني، لكن نتيجة للسياسة الاستعمارية التي حدثت من تعليم الجزائريين فقد عانت الجزائر غداة الاستقلال من نقص الإطار الجامعية واضطرت لإتباع إجراءات بديلة.

وتتمثل الواجهة الثانية في محاولة تصفية الجامعة من مظاهر الاحتلال تطبيقا للاستقلال الشامل.

من هذا المنطلق توالى تطورات وإصلاحات الجامعة الجزائرية على مراحل مختلفة. وعلى العموم فقد ألقى على كاهلها القيام بمهام عديدة تتغير حسب المرحلة وحسب المتطلبات السياسية والاجتماعية للبلاد، إلا أن الخطوط العريضة لأهدافها والمهام المطالبة بالقيام بها لا تحيد عن المهام التي يمكن حصرها فيما يلي:

- تزويد القطاع الاقتصادي بما يحتاج إليه من إطارات قادرة كما وكيفا على تلبية متطلبات التنمية في البلاد.

- ربط التعليم الجامعي بالحقائق الوطنية وجعله يعالج مشكلات الحياة المختلفة، وتوجيهه نحو الفروع التي يحتاجها الاقتصاد الوطني.<sup>2</sup>

ولا شك أن التنوع في فروع الدراسة الجامعية من أهم الوسائل المساعدة على تجسيد مهام الجامعة الجزائرية على أرض الواقع، فهي "مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالالتزام الواعي بحاجات المجتمع الأساسية، وهذا يتطلب بالضرورة صياغة نوعية العلوم التي تدرسها كما يتطلب تنسيقا بين التكوين الجامعي وسوق العمل، ومن هنا يتبين لنا أهمية ربط الجامعة بالقطاع المستخدم".<sup>3</sup>

وبناء عليه يعتبر التوجيه الجامعي هو العملية التي يتم من خلالها توزيع الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا على فروع وتخصصات الدراسة الجامعية على أساس أنها تعمل على إعداد الطالب للحياة العملية المهنية، وذلك وفق إجراءات محددة وباستخدام وسائل معينة.

#### إجراءات التسجيل والتوجيه الجامعي:

يعتبر الحصول على شهادة البكالوريا المؤهل الأساسي الذي يستطيع الطالب على أساسه اختيار أحد الفروع الجامعية للالتحاق بها، وتبدأ إجراءات التسجيل بعد حصول الطالب على هذه الشهادة وتتم عبر مرحلتين:

- المرحلة الأولى: تتمثل في ملئ بطاقة الرغبات عبر الخط والمتوفرة في مواقع الإنترنت المحددة.

- المرحلة الثانية: تأكيد التسجيل بعد المعالجة الوطنية الآلية لمجمل بطاقات الرغبات والتقدم إلى المؤسسة التي وجه إليها لإيداع ملف تسجيله.<sup>4</sup>

#### المعايير المعتمدة في عملية التوجيه الجامعي:

يستند التوجيه للتعليم والتكوين العالين إلى ترتيب يأخذ بعين الاعتبار المعايير الثلاثة الآتية:

- الرغبة المعبر عنها من طرف حامل شهادة البكالوريا.
- شعبة البكالوريا والنتائج المحصلة في امتحان البكالوريا (التقدير، نقاط المواد الأساسية والمعدل العام للبكالوريا).

• قدرات استيعاب مؤسسات التعليم والتكوين العالين.

تتطلب المشاركة في الترتيب، في بعض ميادين التكوين والفروع والجنوع المشتركة معدلات عامة دنيا في البكالوريا، ولا تمنح هذه المعدلات الحق أليا في التسجيل النهائي.

يتم هذا الترتيب إما على أساس المعدل العام المحصل عليه في امتحان البكالوريا والعلامات المحصل عليها في بعض مواد البكالوريا إلى المعايير السابقة الذكر، فإن الالتحاق ببعض الفروع مشروط حسب كل حالة، إما بالنجاح في مسابقة أو اختبار كفاءة أو القبول إثر مقابلة شفوية أمام لجنة بالشروط المتعلقة بالسن.

ويتم التسجيل الأولي والتوجيه والطعون لحاملي شهادة البكالوريا على الخط فقط.<sup>5</sup>

**بطاقة الرغبات والتطورات التي مرت بها :**

عملت الجزائر على مدى مراحل زمنية متلاحقة على تركيز الاهتمام بعملية التوجيه الجامعي، والتي حاولت من خلالها تنظيم توزيع الأعداد المتزايدة من الطلبة حملة البكالوريا على فروع وتخصصات الدراسة الجامعية المختلفة، ولأجل ذلك عملت على إحداث العديد من التغييرات وإدخال الكثير من الإصلاحات على التوجيه مست الإجراءات والأسس المعتمدة والوسائل المستخدمة فيها، كان من أبرزها إدخال طريقة التوجيه بواسطة الكمبيوتر حيث تتم معالجة اختيارات الطالب لمختلف فروع الدراسة وتخصصاتها والمصرح بها في بطاقة الرغبات ومطابقة هذه الاختيارات مع شروط الدخول إلى مختلف الفروع..

ومن بين التغييرات التي مست إجراءات التوجيه ووسائله التعديلات التي تتعلق ببطاقة الرغبات وخاصة تقليص أو زيادة عدد اختيارات الطلبة المعتمدة في بطاقة الرغبات، حيث شملت البطاقة (15) اختيارا ثم قلص العدد إلى (06) اختيارات فقط وذلك ابتداء الموسم الجامعي 1999/1998. ثم أعيد النظر في هذا العدد ليمدد إلى (10) اختيارات، والتي على الطالب ترتيبها تنازليا من (01) إلى (10) حسب تفضيله لمختلف الفروع.

وللإشارة فإن الطلبة حاملو شهادة البكالوريا بتقدير "جيد جدا" عليهم ملئ بطاقة الرغبات وأن يسجلوا فيها اختيارين ضمن الفروع، الميادين مع احترام الشروط المتعلقة بشعبة البكالوريا ليلى لهم اختيار من الاختيارين المعبر عنهما.

أما إذا اختار حامل شهادة البكالوريا تكوينا ينتمي إلى قطاع خارج وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، فعليه أن يقدم اختياريين آخرين للفرع، الميادين التابعة لمؤسسة من مؤسسات التعليم العالي.

يقوم حامل شهادة البكالوريا بتقدير "جيد" بملء بطاقة الرغبات عبر الخط، ويسجل فيها أربع اختيارات لفرع، ميادين مع احترام الشروط المتعلقة بشعبة البكالوريا من أجل تلبية اختيار من الاختيارات المعبر عنها.<sup>6</sup>

إن ترتيب الاختيارات بهذه الطريقة يشبه إلى حد كبير ما يعرف عند (هولند) Holland بالهرمية التطورية، حيث يرتب الفرد مجالات الدراسة أو المهنة (يطلق عليها هولند اسم البيئات) حسب تفضيلاته لها.

وفي هذا الإطار يرى Holland أن الفرد إذا كان يفضل مجالا دراسيا أو مهنيا واحدا على بقية المجالات يكون الاختيار الدراسي أو المهني سهلا بالنسبة له، كما يزداد في هذه الحالة استقرار القرار المهني وتقبل الذات في العمل،<sup>7</sup> ولكن في حالة تفضيل الفرد لأكثر من مجال فإنه يصعب عليه الاختيار الشيء الذي يوقعه في حيرة وتردد في اتخاذ القرار، وإذا ما وجه إلى أي من المجالات الدراسية أو المهنية التي فضلها فإنه لا يستطيع تحقيق تكيفه في المجال الذي اختاره.<sup>8</sup> وهذا ما قد يقع فيه الطالب حامل البكالوريا الذي تفرض عليه وضعية ترتيب الاختيارات العشرة في بطاقة الرغبات.

وبناء عليه نتساءل عن مدى فعالية إجراء تقليص أو زيادة عدد الاختيارات في بطاقة الرغبات وهل هناك أساس علمي يمكن بمقتضاه إتباع هذا الإجراء؟، وبالتالي تحقيق أهداف التوجيه والمتمثلة في التحاق الطلبة بفرع وتخصصات الجامعة على أساس اختيار يوافق إلى حد ما مشروعهم المهني المستقبلي.

#### مناقشة :

إن اختيار الفرد لفرع دراسي أو لمهنة ما؛ هو على أقل تقدير تحديد لأبعاد ومعالم مستقبله لذا فمن الضروري أن لا يترك هذا الاختيار للظروف والصدف، بل يجب أن يسبق بتخطيط محكم يحدد المسار الواجب إتباعه لتحقيق هذا المشروع أو الهدف في المستقبل، ويعتبر هذا السلوك - بناء مشاريع والعمل على تحقيقها - من السلوكات التي يتميز بها البشر، وقد اهتمت الدراسات في علم النفس بدراسة ذلك السلوك وتفسيره، وبالتالي نتج عن ذلك أن أخذ مفهوم المشروع عدة تعاريف وتطور تبعا لتطور الدراسات في مجال التوجيه عموما.

### تطور التوجيه وظهور مناحيه :

مر التطور التاريخي الذي عرفه التوجيه بعدة مراحل تبلور من خلالها مفهوميين له يتمثلان في المنحى التشخيصي والمنحى التربوي.

#### أ - المنحى التشخيصي:

يعتمد التوجيه حسب المنحى التشخيصي على عمليتين أساسيتين هما:

- تحليل الفرد: وهو القيام بدراسة علمية وتقييم لجميع خصائص الفرد وذلك بالاعتماد على أساليب القياس النفسي.
- تحليل العمل (الدراسة): وهو دراسة علمية منظمة شاملة تحدد طبيعة العمل وتستوعب جميع المعلومات التي تتعلق به وتشمل هذه الدراسة نواحيه الفنية والصحية والسيكولوجية<sup>9</sup>.
- وبناء على المبدأين اللذين يقوم عليهما هذا المنحى والمتمثلان في:
  - ثبات خصائص الفرد.
  - ثبات متطلبات مراكز العمل.<sup>10</sup>

يقوم المختص في التوجيه بوضع الفرد في نوع الدراسة أو المهنة التي تتناسب أكثر مع خصائصه ولديه حظوظ النجاح فيها دون غيرها، أي يقوم المختص بعملية المطابقة بين ما يتوفر في الفرد من خصائص وبين المتطلبات الخاصة بالفرع الدراسي أو المهني.

يتطلب القيام بالتوجيه حسب هذا المنحى إذن، توفر معلومات شاملة وكافية حول جميع جوانب الفرد ومعلومات حول متطلبات مراكز التكوين أو المؤسسات الدراسية وفروعها وكذا حول كثير من المهن ومناخذ التشغيل فيها.

ويشمل مخطط النقاط السبعة لروجرز (1951) أهم الجوانب في الفرد التي يجب جمع معلومات حولها وهي:<sup>11</sup>

- الناحية الجسمية والصحية.
- التحصيل الدراسي.
- الذكاء العام، والاستعدادات الخاصة.
- الاهتمامات والميول.
- الخصائص الشخصية.
- الظروف العامة.

ولا يمكن عند التوجيه الاعتماد على جانب دون آخر، فلكل جوانب تحليل الفرد أهميتها.

إضافة إلى ذلك يشمل مخطط النقاط السبعة لروجرز أيضا جوانب تحليل العمل والتي من خلالها يمكن الحصول على معلومات دقيقة حول المتطلبات الواجب توفيرها في العامل أو في التلميذ والطالب لنجاحه في العمل أو الميدان الدراسي الذي يوجه إليه مثل: نواحيه الجسمية والصحية، مستواه الدراسي والتدريبات التي تلقاها، درجة الذكاء المطلوبة، استعداداته الخاصة الواجب توفرها، الخصائص الشخصية المميزة للعمل طبيعة العمل الخاصة وظروفه الفيزيائية والاجتماعية، نوعية المهام والمسؤوليات... إلخ.

لذا لا يمكن إهمال ما لجوانب تحليل العمل من أهمية في القيام بإيجاد التوافق بين خصائص الفرد والمهن حسب ما يقتضيه المنحى التشخيصي للتوجيه.

يستخدم الباحثون والمختصون في ميدان التوجيه العديد من الوسائل والتقنيات المساعدة في الحصول على المعلومات الكافية والدقيقة حول الأفراد وحول أنواع المهن أو الفروع الدراسية المختلفة وأهمها: المقابلة، الاختبارات النفسية دراسة الحالة، السجل الجمع وغيرها.

#### ♦ نقائص المنحى التشخيصي:

لقد ساد اعتماد المنحى التشخيصي على تطبيقات التوجيه حتى السبعينات ولكن نتيجة لظهور بعض النقائص أعيد النظر في تبني هذا المنحى ومن هذه النقائص:

1. اعتماده على فكرتين مشكوك فيهما والمتمثلتان في استقرار خصائص الفرد واستقرار متطلبات العمل فقد أعيد النظر في مصداقيتهما مع تطور الدراسات في علم النفس.<sup>12</sup>

2. التوجيه حسب المنحى التشخيصي يجعل الفرد عنصرا تابعا أو خاضعا لقرارات الموجه الذي يفرض عليه اختيارات وقرارات لم يساهم في اتخاذها، هذه الوضعية تقلل من قدرة الفرد على تقرير مصيره بنفسه، بل تجعله لا يرضى على تلك القرارات لأنه لا يحمل نفسه أي مسؤولية في اتخاذها وبالتالي لا يحقق التوافق في المجال الذي وجه إليه.

3 - إن الوسائل المستخدمة في التوجيه حسب هذا المنحى لا تخلو من نقائص وعيوب، مما يجعل التوجيه يقرر مصير فرد على أساس بيانات غير دقيقة، إلى جانب تدخل ذاتية الموجه.

وبهدف التقليل من النقائص والأخطاء عند تطبيق المنحى التشخيصي وتحقيق تكيف الأفراد في المجالات الدراسية والمهن، طور الباحثون المنحى التربوي للتوجيه والذي أصبح حالياً يمثل الإطار النظري لمختلف نشاطات التوجه المدرسي والمهني.

#### ب. المنحى التربوي:

يرجع ظهور المنحى التربوي في التوجيه إلى التطور الذي حدث في مجالات علم النفس كعلم النفس العمل والتنظيم، علم النفس المعرفي، علوم التربية ... والتي فرضت تغيير المهام المسندة لمختصي التوجيه.

بالإضافة إلى هذا، فلقد أثرت الجهود المبذولة من طرف الباحثين في ميدان التوجيه على ظهور هذا المنحى وانتشاره في الكثير من الدول ككندا، سويسرا، فرنسا، بريطانيا،<sup>13</sup> ومن خلال هذه المساهمات تغيرت الاتجاهات النظرية للتوجيه إلى المنحى التربوي وبالتالي حددت المبادئ الأساسية له.

#### ♦ مبادئ المنحى التربوي:

على عكس المنحى التشخيصي للتوجيه يقوم المنحى التربوي على مبدئي:

- عدم الاستقرار في خصائص الفرد من اتجاهات وميول وقدرات ... إلخ وبالأخص في مرحلة المراهقة التي تعتبر مرحلة تغير في جميع نواحي النمو.  
- عدم ثبات متطلبات مراكز العمل بسبب التطور الذي يعرفه عالم الشغل سواء من حيث التنظيم الهيكلي، التكنولوجيات المستعملة و التأهيلات المطلوبة.<sup>14</sup>

وبناء على هذين المبدئين القاعديين تمحورت الدراسات في ميدان التوجيه حسب هذا المنحى واستخلصت مبادئه والتي تحددها تارزولت حورية فيما يلي:

- التوجيه عملية غير آنية وإنما سيروية تمتد عبر الزمن.
- الفرد خلال هذه السيروية طرف نشط ومسئول عن اختياراته.
- تحديد أي اختيار يكون نتيجة لمشروع مدرسي أو مهني.
- بناء وتحقيق هذا المشروع يتطلب معارف واتجاهات ضرورية.<sup>15</sup>

### الفرق بين مفهومي الاختيار والمشروع :

لقد أخذ مفهوم المشروع مكانة أساسية بداية من النصف الأول من القرن العشرين، وخلال السنوات الأخيرة شهدت هذه الكلمة تطورا كبيرا في الميادين المتنوعة وفي الحياة اليومية وبدأ الحديث عن مشاريع مجتمع، مشاريع مؤسسة، مشاريع تربوية، بيداغوجية المشروع، مشاريع مهنية، مشاريع شخصية ... الخ.<sup>16</sup>

أما في ميدان التوجيه، فإن مفهوم المشروع يندرج ضمن المفاهيم الأساسية التي تستند على مبادئ المنحى التربوي في التوجيه والتي تركز على أن عملية التوجيه سيرورة ممتدة عبر الزمن وأن أي اختيار مدرسي أو مهني لابد أن يكون نتيجة لمشروع مستقبلي.

هناك العديد من التعاريف التي قدمها الباحثون لمفهوم الاختيار نذكر من بينها تعريف Sillamy للاختيار، حيث يرى أنه يعني " القرار الذي من خلاله نقبل إمكانية ضمن الإمكانيات المتوفرة ، سواء كان هذا الاختيار يتعلق بمهنة أو صديق أو نشاط معين مع العلم أنه يتطلب مشاركة كل جوانب شخصية الفرد".<sup>17</sup>

لم يركز Sillamy في تعريفه للاختيار على مجال معين ولكنه اعتبر الاختيار كقرار يتخذه الفرد لقبول فرصة من الفرص المتاحة له. وعملية اتخاذ القرار هذه لا تتم بمعزل عن تدخل كل جوانب وخصائص شخصية الفرد: النفسية الاجتماعية الجسمية ... الخ، وفي نفس الإطار يرى Albau أن الاختيار المهني " كالانخراط الحر المبني بالرضا على معرفة الأسباب، أي الأخذ بعين الاعتبار إمكانيات الفرد معطيات العمل المضمون الاقتصادي والاجتماعي".<sup>18</sup>

من خلال هذا التعريف نجد أن Albau لم يكتف في تعريف الاختيار على أنه القرار الذي يتخذه الفرد لقبول فرصة من الفرص كما فعل ذلك Sillamy ولكنه ربط عملية الاختيار بشرطين هما :

- ♦ ضرورة توفير الحرية للفرد أثناء صياغة اختياره.
- ♦ رضا الفرد التام على اختياره نتيجة لمعرفته لأسباب اختياره المتمثلة في:
  - أخذ الفرد بعين الاعتبار إمكانياته أثناء صياغة الاختيار.
  - الأخذ بعين الاعتبار معطيات عالم الشغل.

يتضح من خلال هذه التعاريف أن مفهوم الاختيار يستند كثيرا على التصور التشخيصي للتوجيه، إذ بناء على المعرفة الدقيقة لخصائص الفرد وما يتوفر من معلومات حول المهن المختلفة يتم اختيار المجال الأكثر ملاءمة لخصائص الفرد؛ يتم

القيام بهذا الاختيار عندما يكون الفرد في وضعية تفرض عليه ذلك، أي أن الاختيار بهذا الشكل هو مطلب مرحلي أو ظرفي (مرتبط بالوضعية الحاضرة).

إن تميز الاختيار بالأثنية حسب هذه التعاريف، تجعل الفرد عرضة لسوء الاختيار والأخطاء عند القيام به، فالفرد وخاصة في مرحلة المراهقة التي تتميز بتغيرات على جميع نواحي النمو، نجده لم يحدد المجال الذي يميل إليه حقيقة، كما أنه لا يكون واع بقدراته وإمكانياته، هذه الوضعية تجعل من الاختيار الذي يصوغه المراهق قي ظل هذه المعطيات اختيارا غير موضوعي ولا يحقق من خلاله تلاؤمه وتكيفه مع المجال الدراسي أو المهني المختار.

وتبعا للجهود المبذولة لتطوير المنحى التربوي للتوجيه، تطور مفهوم المشروع باعتباره من المفاهيم الأساسية التي تتدرج ضمن هذا المنحى.

في هذا الصدد تعددت تعريفات الباحثين لمفهوم المشروع نذكر من بينها: تعريف Guichard الذي يرى بأن المشروع هو " الفعل الذي نريد تحقيقه في المستقبل".<sup>19</sup>

ويرى أن المشروع يمكن أيضا تعريفه على أنه " تأسيس علاقة ذات دلالة بين الماضي والحاضر والمستقبل مع تفضيل هذا البعد الأخير".<sup>20</sup>

ركز Guichard في تعريفه للمشروع على البعد الزمني المستقبلي مع الأخذ بعين الإعتبار الماضي والحاضر، والفعل الذي نريد تحقيقه في المستقبل يكتبب منظور زمني قد يبعد أو يقصر حسب طبيعة هذا الهدف المراد تحقيقه، وبالتالي تكون لكل لحظة معنى محدد في الحاضر أو الماضي، وهذا ما يجعل الفرد كما يرى Guichard يسترجع تصورات وبعيد قراءتها وقيمها ويبحث عن الوسائل المناسبة التي تساعد على تحقيق هدفه. وبذلك فالبعد المستقبلي هو الوجه الأساسي لسلوكات الفرد والذي بموجبه يعطي معنى للماضي والحاضر.

وبالتالي فإن صياغة أي اختيار لابد أن تدرس فيها جميع التفاصيل والوضعية الماضية والحاضرة والمستقبلية، أي يجب أن يكون اختيارا مدروسا مبنيا على أساس مشروع درست وحددت الوسائل والإمكانات المساعدة على تحقيقه وعلى التغلب على مختلف الصعوبات التي يمكن أن تعترض الفرد في سيرورة تحقيق هذا المشروع.

ومن كل هذه التعاريف تتضح الفروق بين مفهوم المشروع ومفهوم الاختيار والتي تلخصها تارزولت حورية فيما يلي:<sup>21</sup>

(1) - المشروع هو توافق بين الذات والمحيط، إذا يختار الفرد أهدافا يراها ضرورية ويكون واع بضرورة توفر بعض الشروط وتجاوز بعض المراحل لتحقيق هذا الهدف، على عكس الاختيار الذي يعتبر سلوك آني غير مدروس لا يعتمد على تحليل للوضعيات ومحدد غالبا بتأثيرات المحيط.

(2) - مفهوم المشروع يتبع على أساس مخطط أفعال كما أنه سلوك نشط يفترض البناء والإعداد، ويتطلب بذلك اكتساب بعض المعارف والاتجاهات لتحقيق هذه المهام بينما لا يتطلب الاختيار كل هذه الشروط، فهو لا يسبق بأي تخطيط ولا يكتسب الفرد بالضرورة بعض المعارف التي تساعد على حسن الاختيار، بل اختياره في كثير من الأحيان نتيجة للصدف.

في هذا الصدد تشير Aimée Fillioud<sup>22</sup> في نتائج دراسة أجريت عام 1969 على 1159 شابا تتراوح أعمارهم ما بين 15 . 24 سنة أن شابا من ثلاثة شبان اختار مهنته صدفة ... وترجع ذلك إلى أن المراهق لا يعلم الأسباب العميقة لاختياره، وترى الباحثة أن الصدفة لا يمكن منطقيا أن تكون نتيجة جهود بذلها المراهق في صياغة الاختيار.

وهذا يعني أن صياغة الفرد لاختيار آني غير مدروس تدل بالضرورة على أنه لم يبذل أي جهد ولم يقدّم بأي نشاط يكسبه معارف واتجاهات تساعد على تحقيق هدفه.

في هذا الإطار يمكن القول بأن بذل الجهود لتحقيق المشروع يبني على أساس اعتبار المشروع كحاجة يحاول الفرد إشباعها، وخاصة إذا ارتبطت هذه الحاجة بتحقيق الذات، ففي هذه الحالة يكون الفرد مدفوعا بدوافع عالية لتحقيق هذه الحاجة وتجنب حالة التوتر التي تتجم عن عدم الإشباع بتعبئة كل الطاقات وبذل كل الجهود لمواجهة العراقيل والصعوبات وتحقيق هذا الهدف (إشباع الحاجة).

(3) - يرى Forner أن مفهوم المشروع أوسع من مفهوم الاختيار، إذ يسمح بفهم وحدة وتنظيم السلوكيات من بداية تحديد الهدف والمعبر عنه بالاختيار إلى تحقيق هذا الهدف فعكس الاختيار فإن المشروع يتضمن: تحديد الهدف والوسائل والإمكانات لتحقيقه"<sup>23</sup>.

(4) - يتميز المشروع ببعض الخصائص منها: الاستقرار، الاستمرارية والتحقق أو الإنجاز على عكس الاختيار الذي يتميز بتغيره، فالفرد يشعر بالتردد والتذبذب في اختياراته، كما أنه لا يستمر في اختيار ما، إذ قد يتخلى عنه لاكتشافه أن هذا الاختيار لم يكن موفقا، وحتى وإن استمر فيه؛ فذلك لأنه مجبر على ذلك

وتكون النتيجة عدم تكيفه وعدم بذله لأي مجهودات ليحقق الهدف المراد من هذا الاختيار.

### أهمية المشروع :

تعتبر عملية بناء المشاريع ذات أهمية بالغة في صياغة اختيار مدروس لمجال دراسي أو مهني معين وكأساس يبنى عليه التوجيه السليم الذي يجنب الفرد الشعور بالفشل والإحباط وسوء التوافق في مجال الدراسة أو العمل .

ففي مجال الدراسة مثلا، ينجم عن سوء توجيه الفرد إلى مجال دراسي لم يختره على أساس مشروع " كثرة المعידين من التلاميذ وما يستتبع ذلك من تولد بعض العادات السيئة كالكسل والتبرم بالمدرسة والعمل المدرسي ومن ضياع للمجهود الإنساني من جانب المدرس والتلميذ وموارد الدولة المالية " <sup>24</sup>.

كما يرى عبد الكريم قريشي أن سوء التوجيه يؤدي إلى ظهور عدة مشكلات أثقلت كاهل المجتمع منها: التخلف الدراسي والتسرب وعدم التكيف السليم والهروب من الدراسة الشيء الذي نتج عنه أعداد كبيرة من المنحرفين أو المحرومين ضاعفوا هم من جهتهم من مشكلات المجتمع وأمراضه " <sup>25</sup>.

وفي نفس السياق يرى محمد العربي ولد خليفة أن الخطأ في اختيار التخصص المناسب في الجامعة يضعف من دوافع الطالب على العمل ويجعله يتقهقر لأول صعوبة يواجهها في الدراسة... وهكذا يقضي مدة مترددا بين الصمود على ما اختاره أو محاولة تغيير الاختصاص، وفي الحالتين ينخفض مردوده التعليمي وقد يترك الجامعة نهائيا أو يجر وراءه سلسلة من الديون أو الوحدات المعادة سنة بعد أخرى. <sup>26</sup>

يتضح من كل هذه الأضرار الناجمة عن سوء التوجيه وسوء اختيار التخصصات الدراسية أو الجامعية، فهذه الأضرار لا تشمل الفرد فقط ولكنها تشمل المجتمع ككل سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية، بل يذهب عبد الكريم قريشي إلى جوانب أكثر خطورة وأهمية يؤثر عليها سوء التوجيه وسوء الاختيار، حيث يرى أن التوجيه السليم يمكن المجتمع من أن يصل إلى مستوى معين من الاستقرار السياسي والتقدم الاجتماعي والاقتصادي وهذا بالاستغلال المحكم لموارده البشرية " <sup>27</sup>.

من هذا المنظور يعتبر اختيار الطلبة لفرعهم الدراسية الجامعية وفق مشاريعهم المهنية المستقبلية من العوامل الأساسية في إنتاج الإطارات الكفاءة، بحيث يصبح في

هذه الحالة اختيار الطالب للفرع أو التخصص الجامعي ليس آنيا؛ مما يجعله عرضة لتأثير العديد من العوامل، وإنما كهدف يشعر الطالب بالحاجة إلى تحقيقه في المستقبل، ومن ثمة يتمسك بهذا الاختيار ويوجه سلوكاته الوجهة التي يستطيع من خلالها مواجهة جميع الصعوبات والعراقيل التي من شأنها أن تعيقه على تحقيق هذا الهدف في المستقبل والمتمثل في الالتحاق بالمهنة التي يوهله الفرع الذي اختاره للعمل فيها.

إن العديد من الدراسات منها دراسة نوتان (Nuttin 1980) حول سيكولوجية الدافعية وعلاقتها بالمشروع<sup>28</sup>، ودراسة فورنر (Forner 1986) حول المحددات غير المعرفية للمشاريع الدراسية والمهنية<sup>29</sup>، ودراسة تارزولت حورية وبوسنة محمود (1995) حول قياس مستوى النضج المهني للمتريبيين في مراكز التكوين المهني<sup>30</sup>، ودراسة تارزولت حورية (1997) حول توافق اختيارات المتريبيين لتخصصات تكوينهم المهني مع تطلعاتهم المهنية المستقبلية<sup>31</sup> ودراسة مشري سلاف (2002)<sup>32</sup> حول اختيارات التلاميذ الدراسية وعلاقتها بميولهم المهنية في ظل التوجيه المدرسي في الجزائر، قد بينت جميعها وأكدت على أهمية المشروع كإطار سيكولوجي تصاغ على أساسه اختيارات الأفراد.

وهذا لا يتم إلا بالاستناد على توجيه علمي وواع للأفراد يمكنهم من حسن الاختيار لمسارهم المستقبلي الدراسي أو المهني الذي يستثمرون فيه طاقاتهم تبعاً لمراحل نموهم، ويتوجب على هذا الأساس أن يكون تدخل مختص التوجيه مبكراً حتى يمكنه مساعدة الفرد بصفة تدريجية.

تزداد أهمية التدخلات البيداغوجية لمختصي التوجيه خصوصاً لأن هناك العديد من العوامل تمارس ضغطها على الأفراد كتجاربيهم الشخصية وتأثيرات العالم الخارجي التي تمارس ضغطها على الأفراد فتعوقهم على صياغة اختيارات مدروسة في إطار مشروع مستقبلي، منها على سبيل المثال لا الحصر:

#### \*. العوامل الأسرية:

إن الفرد لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن محيطه وعن من يحيطون به ويبدأ تأثير هذا المحيط على الفرد منذ ولادته؛ فخلال عملية التنشئة الاجتماعية والتربية... تنمو خصائص الفرد ويكتسب من محيطه خاصة الأسري سلوكات واتجاهات وقيم معينة يستمر تأثيرها عليه طوال حياته، وبالتالي تؤثر على اختياره لمهنته مستقبلاً.

فكثيرا ما يختار الفرد فرعا دراسيا أو مهنة ما نزولا عند رغبة والديه وتأثير الوالدين على اختيارات أبنائهم يكون بأشكال مختلفة فأحيانا يطلب من الابن شغل وظيفه الأب لاعتبارات وتقاليد أسرية أو يختار الوالد لابنه فرعا دراسيا أو مهنة ما لأنه هو لم يستطع الالتحاق بها " أي يحاول التعويض من خلال ابنه ما لم يستطع هو نفسه تحقيقه"<sup>33</sup> وفي حالات أخرى يكون التأثير تسلطيا فيقرر بعض الآباء عوضا عن أبنائهم ممارسة بعض المهن ويجبرونهم على الالتحاق بها رغم أن الأبناء ليست لديهم أية رغبة في هذا المجال ولا يعود هذا لتسلط الآباء فقط ولكن لسلبية الأبناء أيضا...

#### ♦ . العوامل الشخصية:

تعتبر العوامل الشخصية ذات تأثير بالغ الأهمية على مشاريع الفرد الشخصية ولقد أثبتت العديد من الدراسات هذا التأثير منها دراسة Larcebeau و Descombes ودراسة Clark و Gest ، وتشمل هذه العوامل الشخصية عوامل ذاتية - داخلية للفرد، كعوامل الوراثة عامل الذكاء، وعوامل نفسية وغيرها، والتي تؤدي إلى وجود فروق فردية بين الأفراد والتي لا يمكن عزلها عن العوامل المحيطة نتيجة التداخل بين هذه العوامل كافة، ومن بينها عامل الجنس.

فحسب Erikson تعتبر مرحلة الطفولة فترة اكتساب الطفل لعمليات التمييز التي تمكنه من اكتشاف الفروقات الجنسية، والذي يعد أساسا لبلورة صورة الذات وتوقع بعض التصورات والأدوار الخاصة بكل جنس، ويحتل عامل الجنس مكانة هامة في التأثير على بناء التصورات المهنية المستقبلية رغم أنها تأخذ الطابع الخيالي في هذه المرحلة "وتصبح الاختيارات الأكثر تكرارا وشعبية عند الإناث أقل اختيارا عند الذكور والعكس"<sup>34</sup>.

وما بين سن التاسعة والثالثة عشرة (09 - 13 سنة) يرتبط التصور الخاص بالمهن الملائمة لكل جنس بعامل آخر وهو المكانة الاجتماعية التي تحتلها المهنة في هرم التصنيف الاجتماعي للمهن، وفي هذه الحالة يكون اختيار الفرد لمهنة ما مبنيا على أساس تقييمه لهذه المهنة من جانب ملاءمتها لجنسه ومكانتها اجتماعيا، يسمح هذين البعدين (المكانة التي تحتلها المهنة - عامل الجنس) بتكوين ما يطلق عليه Gottfredson "خريطة معرفية للمهن" (Carte Cognitive des professions) والتي تعني بنية تصورية تسمح للفرد بالتعرف والتقييم السريع للمهنة وتصبح هذه الخريطة فيما بعد كدليل للتعرف على مختلف المهن.<sup>35</sup>

يتضح من ذلك أن الجنس يلعب دورا هاما في التأثير على اختيار الفرد لاختصاص دراسي أو مجال مهني معين، ويرتبط ذلك أيضا بنمطية اجتماعية سائدة حول المهنة ومدى ملاءمتها لكل جنس، ففي دراسة على مستوى جامعات الوطن العربي عموما توصل هشام نشابه إلى أن "ثمة فروعا في الجامعات العربية لا مجال للفتاة فيها فإن دخلتها فتاة فإنها الحالة الشاذة التي تستدعي الاستغراب وأحيانا الاستهجان"<sup>36</sup> كما توصل إلى أن مهنة التعليم هي أكثر المهن التي تلقى الإقبال الكبير من طرف المرأة في الوطن العربي عن العموم، "لأن هذه المهنة تتسجم مع دورها التقليدي كمربية وهو التطور الطبيعي لهذا الدور..ويبدو أن المرأة تستطيع التكيف مع مهنة التعليم أكثر من غيرها نظرا لما درجت عليه المؤسسات التربوية من تخصيص عطل طويلة في كل عام تستطيع المرأة أن تتصرف من خلالها إلى ممارسة واجباتها كربة بيت وزوجة"<sup>37</sup>.

#### خلاصة واقتراحات:

إن الهدف من هذه الدراسة هو معرفة مدى فعالية الإجراء المتعلق بتقليص أو زيادة عدد الاختيارات في بطاقة الرغبات في تحقيق أهداف التوجيه والتمثلة في التحاق الطلبة بفروع وتخصصات الجامعة على أساس اختيار يوافق إلى حد ما مشروعهن المهني المستقبلي.

وقد تبين من خلال المناقشة والإطلاع على الإطار النظري ما يلي:

- إن المشكلة لا تكمن في تقليص أو زيادة عدد الاختيارات في بطاقة الرغبات، بقدر ما تكمن في عدم وضوح الأساس العلمي الذي بمقتضاه تم إتباع هذا الإجراء، فليس المهم كم اختيارا سجل الطالب على بطاقة الرغبات وإنما المهم هو:

- هل أن الاختيار الذي سجله في المرتبة الأولى مدروس ومبني وفق مشروع مهني مستقبلي يعمل على تحقيقه وأخذ فيه بعين الاعتبار إمكانياته وقدراته وميوله؟

- وهل هو بهذا المعنى أفضل من اختياراته المرتبة في مراتب متأخرة؟
- وإذا ما وجه الطالب حسب اختيار رتبته في مراتب أخيرة (العاشر مثلا) ألا يمكن اعتبار هذا الاختيار مجرد سد ل فراغ أجبر الطالب من خلاله على ملء كل الاختيارات المحددة؟

- وإذا ما وجه الطالب حسب اختياره الأول، هل يمكن اعتبار رغبة الطالب فعلا دليلا على ميوله المهنية؟ ألا يمكن أن تكون هذه الرغبة تعبيراً عن رغبات

الأهل ونتيجة لضغوطات المحيط الاجتماعي...؟ أو رغبة آتية وارتجالية نتيجة نقص الإعلام حول التخصصات ؟. خاصة مع ما يلاحظ من تمركز نسب ضخمة من رغبات الطلبة نحو بعض الفروع وندرتها نحو فروع أخرى وكذلك نسب الطعون والتحويلات الداخلية من فرع لآخر...

- إن اعتماد التوجيه على نتائج الطالب في امتحان البكالوريا فقط يعبر على الاهتمام بجانب واحد من جوانب شخصية الفرد وهو التحصيل الدراسي، ومن المؤكد أن هذا الجانب لا يعكس باقي جوانب شخصية الفرد التي لها تأثيرها البالغ على توجيهه، كسماته الشخصية وقدراته العقلية واستعداداته ونواحيه الجسمية والصحية وغيرها... خاصة مع اعتماد التوجيه عن طريق المعالجة الآلية التي وإن نجحت في اختصار الوقت والجهد والمال ولكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب مصير الطالب إذ تؤدي هذه المعالجة إلى تهميش الطالب كفرد والتعامل معه ك"رقم تسجيل".

وعليه يمكن القول، إن أهداف الجامعة الجزائرية جد طموحة وبناءة تعكسها الإصلاحات المتتالية خاصة الحديثة ذات التوجهات العالمية والقائمة على الواقعية والتدرج في التنفيذ، مما يعكس النوايا الطيبة نحو الأحسن، ولا شك أن ذلك سيضمن منظومة التوجيه لتساير وتواكب التطورات العالمية في هذا المجال. يتجسد هذا على أرض الواقع بإعطاء الأهمية لـ:

- عملية التوجيه باعتبارها عملية سيكو - بيداغوجية وليست عملية إدارية محضة.

- تربية اختيارات ومشاريع الفرد إلى جانب الاهتمام بجوانب أخرى في شخصيته، إذ يمكن اقتراح برامج تربوية تسمح بتطوير قدرات الفرد اللازمة كي يستطيع صياغة اختياراته المهنية وتحديد الخطة المناسبة لتحقيقها.

- وزيادة الاهتمام بمختلف نشاطات التوجيه تبعاً للتطورات التي عرفتها مناحي التوجيه وتطبيقاته، الذي أصبح أمراً ذا أهمية بالغة في الوقت الحالي، كالاهتمام بالإعلام المدرسي والتقييم السيكولوجي من خلال تفعيل دور المقابلات واختبارات الكفاءة التي تجرى للالتحاق ببعض الفروع.

- إعطاء أهمية لجميع المراحل التعليمية في حياة الفرد والتأكيد على ترابطها وتكاملها في مهمة تهيئة جميع الظروف المناسبة للفرد لصياغة اختياره المهني المستقبلي من خلالها.

- التأكيد على توفير الخدمة النفسية في الوسط الجامعي بتعيين أخصائيين في علم النفس والتربية للتكفل بمشكلات الطلبة النفسية والأكاديمية.

ونأمل أن تدعم نتائج هذه الدراسة مختلف الدراسات الرامية إلى تحسين إجراءات التوجيه وأأسسه ووسائله ومفاهيمه بشكل عام في بلادنا، وتكون بداية لدراسات ميدانية مستقبلية تسيير نحو نفس الهدف.

### الهوامش :

- 1 - محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر 1989، ص 198.
- 2 - مقداد محمد: استجابة البرامج الجامعية لمطالب التنمية الوطنية، كتاب الرواسي: قراءات في المناهج التربوية، ط 1، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي: باتنة، الجزائر 1995، ص 225.
- 3 - بوعبد الله حسن: تقييم العملية التكوينية بالجامعة، كتاب الرواسي 01: قراءات في التقويم التربوي، ط 2، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي: باتنة، الجزائر 1998، ص 184.
- 4 - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: منشور رقم 04 المؤرخ في 05 جمادى الأولى 1428 الموافق لـ 22 ماي 2007، متعلق بالتسجيل الأولي وتوجيه حاملي شهادة البكالوريا للسنة الجامعية 2007-2008، ص ص 3-4.
- 5 - نفس المرجع السابق، ص 01.
- 6 - نفس المرجع السابق، ص 04.
- 7 Pemartin D.et Legres J., Les Projets chez Les Jeunes, Edition Moulineaux: France 1988, P59.
- 8 Ibidm P59.
- 9 - عبد الفتاح دويدار: أصول علم النفس المهني وتطبيقاته، دار النهضة العربية، بيروت، 1995 م، ص 123.
- 10 Larcebeau S,le Choix Professionnel, L'orientation Scolaire et Professionnelle, OP.Cit , P 206 .
- 11 - مقدم عبد الحفيظ: دور التوجيه والإرشاد في الاختيار والتوافق المدرسي والمهني - المجلة الجزائرية للتربية، العدد الأول وزارة التربية الوطنية الجزائر 1994، ص 61.
- 12 - تارزولت حورية: مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين، رسالة ماجستير غير منشورة: جامعة الجزائر 1997، ص 07.
- 13 Pemartin .D.et Legres J , Les Projets chez les jeunes, OP Cit , P 59
- 14 - تارزولت حورية: مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين، مرجع سبق ذكره ص 08.
- 15 - تارزولت حورية، المرجع السابق، ص 09.
- 16 Guichard J .L'Ecole et les Représentations D'Avenir des Adolescents, P.U.F.1993. PP.13-14.
- 17 - تارزولت حورية"، مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين، مرجع سبق ذكره، ص 10.

- 18- نفس المرجع السابق، ص 10.
- 19 Guichard J. L'Ecole et les Représentations D'Avenir des Adolescents, OP Cit. P.15.  
20Ibid. . P.16.
- 21 - تارزولت حورية: مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين، مرجع سبق ذكره ص 12.
- 22 Fillioud A. , Le Choix du Métier , L' Adolescence . C.D.P.L Paris , 1970. P. 270.
- 23 - تارزولت حورية: مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين، مرجع سبق ذكره ص 12.
- 24 - محمد جمال صقر: اتجاهات في التربية والتعليم، دار المعارف: مصر، 1958 م، ص 35.
- 25 - عبد الكريم قريشي: التوجيه المدرسي في الجزائر، مجلة الفكر، الجمعية الثقافية الجامعية الأمل: الجزائر 1993 م ص 32.
- 26 - محمد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 94.
- 27 - عبد الكريم قريشي، التوجيه المدرسي في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 32.
- 28 Nuttin J., Theorie de la Motivation Humaine. P.U.F: Paris, 1980.
- 29 Forner Y., Les Déterminants non Cognitifs des Projets Scolaires et Professionnels des Lycéens en Terminale, Doctorat 3eme. Cycle, Paris 1986.
- 30 - تارزولت حورية، بوسنة محمود، قياس النضج المهني للمتربصين في مراكز التكوين المهني، النسق التربوي في الجزائر، حوليات جامعة الجزائر عدد خاص 1996، 1995.
- 31 - تارزولت حورية، مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين، دراسة المؤشرات السيكلوجية وأهميتها في بناء وتحقيق هذه المشاريع، مرجع سبق ذكره، 1997، 1996.
- 32 - مشري سلاف: علاقة اختيارات التلاميذ الدراسية بميولهم المهنية في ظل التوجيه المدرسي في الجزائر، مذكرة ماجستير غير منشورة: جامعة ورقلة 2001 - 2002.
- 33 Fillioud A., Le Choix du Métier , L' Adolescence .OP.Cit. P. 268
- 34 Guichard . J . L'école et les représentation d avenir des adolescents . OP Cit . pp . 83- 84 .
- 35 Ibid. . PP . 85.
- 36 - هشام نشابه: نظرة مستقبلية للتربية والتعليم وعلاقتها بمشكلات المرأة العربية ولسهامها بعملية الانصهار القومي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي ينظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت: 1982 م، ص 441.
- 37 - نفس المرجع السابق، ص ص 442 - 443.